سلسلة الإسلام والسياق المعاصر

[دفاتر تفكيك خطاب التطرف]

12

تقريب القول في تفكيك خطاب التطرف الديني

د. عبدالله معصر

المملكة المغربية

الرابطة المحمدية للعلماء

تقريب القول في تفكيك
خطـاب التطرف الديني

سلسلة الإسلام والسياق المعاصر

- دفاتر تفكيك خطاب التطرف -

المشرف العام: أ. د. أحمد عبادي / رئيس التحرير: د. محمد المنتار

الإخراج الفني: يونس عبدوس

الطبع: مطبعة المعارف الجديدة. الرباط / الطبعة الأولى: (1440هـ/2018م)

الإيداع القانوني: 2018MO5750 / ردمك: 978-9954-600-83-2

تطلب منشوراتنا من:

• وحدة النشر والتوزيع وتنظيم المعارض

الرابطة المحمدية للعلماء، شارع لعلو، لوداية الرباط.

الهاتف والفاكس: 0537.70.15.85

البريد الإلكتروني: manchoratarrabita@gmail.com

• المعرض الدائم لإصدارات الرابطة المحمدية للعلماء

شارع فيكتور هيكو رقم 53 مكرر، الأحباس، الدار البيضاء.

الهاتف: 0522.44.86.57 الفاكس: 22.54.20.51 5 (212+)

البريد الإلكتروني: manchoratarrabita@gmail.com

• دار الأمان للنشر والتوزيع. الرباط

البريد الإلكتروني: Derelamane@menara.ma

هاتف وفاكس: 37.20.00.55 5 37.72.32.76/ 5 (212+)

كل الحقوق محفوظة

Tous droits réservés

المملكة المغربية

الرابطة المحمدية للعلماء

www.arrabita.ma

يحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو اختصار أو إعادة تنضيد الكتاب كاملا أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطيا.

سلسلة الإسلام والسياق المعاصر

[دفاتر تفكيك خطاب التطرف]

12

تقريب القول في تفكيك خطاب التطرف الديني

د. عبدالله معصر

تمهيد:

إن تفكيك خطاب التطرف الديني يقتضي الوعي بنسقه الداخلي، والإحاطة بأصوله العقدية التي يتأسس عليها، وتحليل بنياته الفكرية التي تتكون منها مقولاته، واستقراء لمفرداته التي يتشكل منها معجمه جملة وتفصيلا، والوقوف على امتداداته الأفقية والعمودية في حياة المجتمعات الإنسانية المعاصرة.ورصد شبكة مفاهيمه المختلفة، مع الاستحضار التام لأطروحاته، والتشخيص الدقيق والسليم لأعطابه الذاتية والمنهجية.

وهذه الدراسة تروم تفكيك خطاب التطرف، ونقد الأسس التي يختفي وراءها، وبيان بطلانها، وتفنيد المفاهيم التي يتداولها أصحاب هذا الخطاب، ونسف المقولات التي يتوسلون بها، دون إغفال للمداخل المنهجية والموضوعية التي تفيد في دراسة وتحليل هذا الخطاب.

وإذا كان الشّارع قد حدّد منهج الرّشد والسّواء الذي ينبغي أن يتّخذ كوحدة قياسية يرجع إليها عند الاختلاف، والتي يمثّل النّبي ﷺ فيه النّموذج الكامل السّوي، والمثال الأسمى الصّافي النّقي، فإنّ الغفلة عن قراءة مؤشّرات هذا النّموذج، واستقراء دلالاته، واستحضار سياقاته المختلفة والمتعدّدة، وإدراك الفروق بين متلازماته العلمية والعملية، والرّوحية والأخلاقية، والنّظر في شبكة العلاقات التي تحكم عناصره، يؤدي إلى عدم التّمثّل

الرّاشد للدّين، ويزجّ بالفرد والجماعة في متاهات القراءات المشوّهة والمبتورة للخطاب الديني، والتي تتأسّس عليها أفعال وتصرّفات مقطوعة الصّلة بالدّين، وإن زعمت أنها لصيقة به.

ذلك أن التطرّف الديني عطب يصيب الجهاز المفاهيمي للمتديّن فيتسبّب في تدمير مركزية أصل الوسطية، مما ينتج عنه تعطيل منافذ الاستقبال الصافية، ويجعل هذا الجهاز المفاهيمي مصابا بفيروسات وآفات تلحق أضرارا بمستويات الفهم، يتلوّث معها منهج الأخذ والتلّقي والاستمداد، مما ينتج عنه انسداد، وانكماش، وانحصار، وانغلاق على مستوى المنهج والفكر، وشلل على مستوى النّهوض بالفرد والمجتمع .

المبحث الأول. التطرف مداخل منهجية وموضوعية:

إنّ تشريح الخطاب الديني المتطرف يقتضي رصد آلياته التي يتوسل بها، والأساليب التي يعتمدها في تناسله وامتداده، ذلك أنّ هذا الخطاب يعتمد نسقا مغلقا.

ولتفكيك خطاب التطرف الديني، والوقوف على أسبابه، والشروط المغذية لامتداده، والموانع الكابحة لانتشاره نستحضر هنا الحديث النّبوي الشّريف الذي يصوّر فيه النبي ﷺ علل وأدواء الخطاب المنحرف عن الوجهة السليمة، وأنّ الله يقيّض لهذه الأمّة رجالا يحملون أمانة الذود عن هذا الدين، «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[1] .

فهذا الحديث يعتبر مفتاح هذا الباب، فقد ذكر ثلاثة مداخل أساسية، وتتلخص في تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وهي أوصاف وعلامات إذا سبرت أغوارها، تبيّن المآل الذي تقود إليه، انفرادا واجتماعا، ويمكن تصنيفها بحسب درجة ورودها:

1. التّحريف: وقد قيّد بالغالين.
2. الانتحال: وقد قيّد بالمبطلين.
3. التّأويل: وقد قيّد بالجاهلين.

(1) رواه البيهقي 248. وأورده ابن عساكر في تاريخ دمشق ج2 ص233.

أولا. التّحريف والغلوّ:

أما التّحريف فأصله مصدر حرّف الشيء إذا مال به إلى الحرف، وهو يقتضي الخروج عن جادّة الطريق، ولما شاع تشبيه الحق والصواب والرّشد والمكارم بالجادّة وبالصراط المستقيم، شاع في عكسه تشبيه ما خالف ذلك الانحراف وبنيات الطريق .

والمراد بالتّحريف: إخراج الوحي والشريعة عمّا جاءت به، إمّا بتبديل، وإمّا بكتمان بعضه وتناسيه، وإما بالتأويل البعيد وهو أكثر أنواع التحريف[1].

وقد نقل عن ابن عباس أن التّحريف فساد التأويل، ولايكون ذلك إلا بتبديل المعنى، وتغييره عن تأويله.[2]

وقد حاط علماء الإسلام رضي الله عنهم هذا الدّين من كل مسارب التحريف.

وأماالغلوّ: فهو تجاوز الحد المألوف، ويقصد به الزّيادة على المطلوب من المعقول، أو المشروع في المعتقدات والإدراكات والأفعال، أي: الزيادة في عمل على المتعارف منه بحسب العقل أو العادة أوالشرع، والغلوّ في الدين: أن يظهر المتديّن ما يفوت الحدّ الذي حّد له الدّين، والغلو أصل كثير من الضلالات[3]

(1) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج 1، ص 567.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 567، وتفسير الطبري، ج 8، ص 42.

(3) المصدر نفسه، ج 6، ص51.

ومثاله في تاريخ المسلمين ماذهب إليه الخوارج من الاستدلال بالنصوص التي نزلت في الكفار، فجعلوها في عصاة المسلمين.

ثانيا. الانتحال المبطل:

أما الانتحال: فهوادّعاء الشيء وتناوله[4] وأما المبطل: من يقول شيئا لاحقيقة له[5].

والانتحال يرتبط بقول المبطل الذي يلحن بحجّته، والمبطل ينتحل من الحجج ما يبرر به ادّعاءه.

ثالثا. التأويل والجهل:

أما التأويل: فهوصرف اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر محتمل لدليل.[6]

والجهل على ثلاثة أضرب:

الأول: وهو خلو النّفس من العلم هذا هو الأصل.

والثّاني: اعتقاد الشّيء بخلاف ماهو عليه.

والثّالث: فعل الشّيء بخلاف ما حقّه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا.[7]

---

(4) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ج1، ص 795.

(5) المصدرنفسه، ج1ص 130.

(6) التحريروالتنوير، ج1، ص16.

(7) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ج1، ص 209.

ولما قيّد التأويل بالجهل دلّ ذلك على أن صاحبه قد أخطأ التّأويل.

وفيه: بيان للتّأويل الممارس مع رسوخ وصف الجهل، إذ الجاهل قد يتعلّق بكلّ معنى يظهر له ينتصر به لمذهبه.

وقد تجتمع هذه الأوصاف كاملة في خطاب التطرّف، وقد تتداخل فيما بينها، فالتّحريف مدرجة الغالين، والانتحال سلّم المبطلين، والتّأويل الفاسد البعيد وسيلة الجاهلين .

المبحث الثاني. الانتحال، مظاهره وتجلياته:

تتجلىّ مظاهر الانتحال في: اغتصاب المفاهيم الدينية: مفهوما وماصَدَقاً.

1 - اغتصاب مفهوم القدوة، والأسوة:

وذلك بانتحال ودعوى القرب من أوصاف النموذج الأخلاقي الكامل (النبي ﷺ) الذي يجسّد الإسلام في كماله، فالمتطرّف ينظر لنفسه -نظر عين الرضا- أنه الوحدة القياسية للإنسان المسلم الكامل، فمعاني النّصوص الدّينية متجسّدة فيه فهما وتطبيقا وتنزيلا، وشكلا وهيئة وسلوكا.

فهو مستغرق في تعظيم نفسه، وتضخيم خيريّتها، والرّضى عن مساوئها، وفي ازدراء غيره وتبخيسه حقه، وسلب كل صفات الكمال عنه. يعتبر نفسه مقياس كل شيء: قولا وفعلا وسلوكا، قد طُوي فيه الكمال، ونُشِر في غيره النقصان، فالأصل فيه أنّه على الحقّ و دائم الصّواب، والأصل في غيره أنه على الباطل، و دائم الخطأ، وأنه ليس على شيء، وكأنه الوحدة الأخلاقية القياسية للنّاس، و النّموذج المثالي، فلا صواب خارج دائرة نفسه، قد جُمِعت فيه كل الكمالات والفضائل، وتفرّقت في غيره كل العيوب والمساوئ والرذائل.

إنّها صورة مختزلة لنموذج من النّاس يعاني من خلل وضيق في جهازه المفاهيمي الرّوحي والقيمي، لم يستوعب سعة المنظومة الأخلاقية للإسلام التي تسع جميع الخلائق، والتي جمعت من قيم الرّحمة والرأفة

والجمال والكمال ما تشدّ به أواصر الائتلاف والتّراحم والتّوادد والتّعارف بين الناس، ويسدّ باب الاختلاف والانشقاق والعدوان والتخاذل.

إنّ خطورة هذا الدّاء الكلب أنّه يجعل صاحبه غافلا عن سنن الله في خلقه، فيتحوّل من ملاحظ -صامت- إلى محتسب -متكلّم- مدّعيا سلامة القصد في الظاهر، ومخفيا استبداده برأيه، وعجبه واستكباره في الباطن.

الآفات المترتبة عن اغتصاب مفهوم القدوة:

يترتب عن هذا الادّعاء آفات خطيرة، من أبرزها:

أ. آفة تعظيم الذّات: فينظر بعين التعظيم لكل ما يقوم به من أفعال وتصرفات، وذلك باعتقاد الكمال فيها، إعجابا بها وإغترارا.وأنّها كلها صواب وحق.

ب. آفة تنقيص الغير: وذلك بالنّظر في أعمال الغير بعين التحقير، وذلك باعتقاد الخطأ والنّقص فيها.

ولتحقيق هذه الغاية يتوسّل خطاب التّطرّف بآليات صورية نذكر منها:

آلية التّقابل والمقارنة: وذلك أن خطاب التّطرف، يقيم التّقابل والمقارنة بين خطابين: خطابه المتطرف الذي يعتبر وحدة قياسية يزن بها المتطرّف غيره، فيجعل نفسه المعيار والميزان الذي يُقوّم به سلوك الناس مما يقحمه في نفق مظلم من الأوهام والوساوس التي تجنح به عن الرّشد والصّواب، وخطاب نسف المشروعية عن غيره، وإثباتها للذّات .

آلية الحذف: وهي آلية تقوم على التّصرف في انتقاء واختيار النّصوص الشرعية، حيث يعمد خطاب التطرف إلى إسقاط النماذج التي تصادم تصوره الذي بني عليه، فينتزع نماذج وأحداث ووقائع من سياقها، ويوهم الغير موافقتها لهذا الخطاب، ويضعف اليقين بغيرها، سالكا في ذلك مسالك التهويل العقدي، والتمويه التأصيلي، ومُلحِقا الضّرر والأذى بالمخاطب، من حيث يعتقد النفع.[1]

وقد نتج عن هذا الخطاب ظهور مقالات يُشم منها التّنكّب عن مهيع أهل السّنة والجماعة، والطّعن في مصداقية السلف من قبيل مقالة: «هم رجال ونحن رجال» ومقالة: «لاتقلّد أبا حنيفة، ولامالك، ولاالشافعي، ولاأحمد، وخذ من حيث أخذوا» ومقالة: «ولو قالها مالك فلسنا له بممالك».

ولذلك يعمد إلى توظيف كل المصطلحات الدّينية التي تنتمي لدائرة الإيمان كالحقّ والهدى...وغيرها فيجعلها شعارا وعنوانا على مدى التزامه الكامل بالدّين.

في حين تستعمل مصطلحات الباطل والضلال كنعت مقابل لإخراج الآخر من دائرة الإيمان.

وقد ترتّب عن آفتي تعظيم الذّات، وتنقيص الغير في خطاب التطرف إلى السّقوط في فخّ تصنيف الناس إلى طبقات باعتبار قربها أو بعدا من النموذج الديني -كما يتصوره دعاة التّطرّف- وهكذا رتّب الناس في سلّم تفاضلي خاص، يبتدأ بالعقائد وينتهي بالسلّوك،

(1) تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبدالرحمن، ص 295.

ويأخذ الشكل التالي:

- الإيمان ويقابله الكفر.
- والكفر والتّبديع والتّفسيق.
- والإسلام وتقابله الجاهليّة.
- والحاكمية وتقابله الجاهليّة أيضا.

2 - اغتصاب مفهوم الرجوع إلى الأصول أو الإحياء الديني:

يعتمد خطاب التّطرّف على دعوى أنّه الخطاب الذي يتمثّل فيه مفهوم العودة إلى الأصول أي: الإسلام الصّحيح، ويسلب هذا المعنى عن غيره.مدّعيا أن أهله هم الطّائفة المنصورة، والفرقة النّاجية، وهم ممثّلو أهل السّنة والجماعة.

فإذا كان مفهوم الرّجوع إلى الأصول يقتضي الجمع بين التّنوير والتّحرير، فالتّنوير يقتضي إخراج الإنسان المسلم من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة، والتّحرير يقتضي إخراج الإنسان المسلم من قيود الأكوان إلى سعة أفضال المكوّن.أي وصل الإنسان بربّه، وهذا الخطاب شامل لعموم المسلمين، ومتعلّق بسلوكهم[1].

الآفات المترتبة عن اغتصاب مفهوم الرجوع إلى الأصول أو الإحياء الدّيني:

إلا أنّ خطاب التّطرّف وقع في آفتين اثنتين:

(1) سؤال الأخلاق، طه عبدالرحمن، ص 172.

أ. آفة التّضييق: أي تضييق هذا المفهوم، حيث أصبح علما على جماعة دون سائر المسلمين، والحال أن مفهوم الرجوع إلى الأصول خطاب لعموم المسلمين حتّى يكونوا على حالة محمودة تقترب من النموذج الكامل، كل على قدر استقامته.

ب. آفة التّسييس: حيث طمس مقتضى التّنوير والتّحرير، بحجّة التّغيير، فوقع فريسة القيم المادّية، وتوسّل بأساليب مقتبسة من تنظيمات ربما ناقضت أصله التّنويري الرّوحي، دون الالتفات إلى القيم الرّوحية المبنية التي تأخذ بالمقتضيات الأخلاقية في الإصلاح والتّغيير.

المبحث الثالث. التّأويل الفاسد المترتّب عن الجهل بطبيعة الخطاب الدّيني المبني على منهج تكاملي:

ويتجلىّ هذا التّأويل الفاسد في خطاب التّطرف في:

1 - تغليب النّظر التّجزيء في الخطاب الدّيني على النّظر الكلّي التّكاملي: أي تجزيئ الخطاب الشّرعي، واصطناع مقولات مركزية يتمّ على ضوئها تفسير النّصوص، وتقسيم الخطاب إلى مقولات أصلية ومقولات تبعية دون مراعاة للنّسق الدّاخلي والخارجي للنّصوص، وهذه القراءات المبتسرة التي تتّسم بالسّطحية تجعل المفاهيم منكوسة، تأخذ فيه القيم الإسلامية منحنى معكوسا، وتدور في فلك المقولات المركزية، فمصطلح الحاكمية مثلا في ظل هذا التصور أصبح مفهوما مضطربا، ارتبطت به كل قضايا العقيدة، عبر تاريخ المسلمين، وتمّ في ضوئه تفسير وتحليل كل المراحل التّاريخية التي مرّت بها المجتمعات الإسلامية، وانقلب معه هذا المفهوم إلى كلمة حقّ أريد بها باطل، وتحولت معه الكلمة من حاكمية الله إلى حاكميّة الطّوائف التي جعلت نفسها وكيلا عن الشّارع في محاكمة الأفكار والأراء، حيث أخذ هذا المفهوم بعدا إيديولوجيا، استبيحت به الدّماء والأرواح [1].

وقل مثل هذا في مقالة: «إذا صحّ الحديث فهو مذهبي» ومقالة: «إذا وجدت رأيي يخالف الحديث فاضرب برأيي عرض الحائط»، وهي كلمات حق فتح بها باب للباطل فأصبح يتسوّر محراب الاجتهاد في

(1) في تفكيك خطاب التطرف، أحمد عبادي، ص21. مفهوم الحاكمية، محمد الناصري ص8.

مذاهب العلماء من ليسوا بعلماء ولاأشباه علماء.مما تسبّب في فوضى علمية اختلت معها معايير تفسير النّصوص، وقد صحّح العلماء هذا المعنى فقالوا: إن الأئمّة خاطبوا بهذا من حازرتبة الاجتهاد في مذاهبهم، وعرف أقولهم وتتبّع مسالك اجتهاداتهم، وغلب على ظنّه أن الأئمّة لم يصلهم الحديث، وإلاّ فكثيرا من الأحاديث قام عند الأئمة دليل على نسخها أو تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك[2].

2 - عدم مراعاة السّياق بمختلف تجلّياته، واعتباراته المتعددة: (العقليّة، والنّفسية، والاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، والمحلية والكونية)[3] في تفسير النصوص، بل كثيرا ما تُفصل المفاهيم الشرعية عن سياقاته، وتنزع عنها معانيها ودلالاتها.

3 - الآفات المترتبة عن إغفال السّياق في خطاب التّطرّف:

ويترتّب عن عدم استحضار خطاب التّطرّف للسياق الوقوع في جملة من الآفات نذكر منها:

أ. إغفاله لحقائق التاريخ: أي الفارق الزّمني بينه وبين النصوص.

ب. إغفاله للمكوّنات الذّاتية والمجالية التي تكوّنت بسبب تراكم طبقات من التجارب والمعارف، في فهم النصوص، مما يجعل التّأويل حاملا لآثار هذه العناصر الذّاتيةوالمقامية[4].

---

(2) انظر مقدمة المجموع شرح المهذب للنووي .

(3) في تفكيك خطاب التطرف: أحمد عبادي ص 5

(4) العمل الديني: طه عبدالرحمن ص 187.

ج- إعمال النّصية الحرفية وإهمال المقاصد الشّرعية: يعتمد خطاب التطرف الديني على فهم حرفي وسطحي للنّصوص، مع إغفال تامّ للمقاصد الشّرعية، معطّلا بذلك الدّلالات والمعاني الحقيقية للنصوص.

وقد ترتب عن هذا المنهج آفات كثيرة نذكر منها:

أولا: عدم اعتبار نسقيّة القرآن، مما تسبب في عدم القدرة على الجمع بين النصوص.

ثانيا: الجهل بمراتب الأعمال، فتمّ تضخيم الجزئيات، على حساب الكلّيات، والفروع على حساب الأصول.

ثالثا: تضييق مفاهيم النّصوص الدينية: مما يتسبب في تجميد بعض أحكام الشريعة السمحة[1].

(1) الوسطية الطريق إلى الغد: عبدالله بن عبدالعزيز اليحيى ص8

المبحث الرابع. التحريف:

وتتجلى مظاهر هذا التحريف تتجلى في:

1. تضييق معاني المفاهيم القرآنية والحديثية (النصوص الدينية).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوارد في قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، واولئك هم المفلحون﴾[2].

وقوله ﷺ ﴿من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان﴾[3] يأخذ منحى المنازعة وطلب الزّعامة والسلطة، وتغيب عنه نيّة الإصلاح والتّغيير المبني على المقتضيات الأخلاقية.

ومنشأ هذا القصور في فهم الخطاب الديني لدى المتطرفين يرجع إلى جملة أسباب نذكر منها:

الأول: عدم إدراك الفروق والحدود الفاصلة بين فروض الكفاية وفروض العين، والعلاقة بينهما.

الثاني: الاعتقاد أن هذه الأشكال من التغيير أقساما متباينة، والحقيقة أنّها مراتب متفاوتة.

---

(2) سورة آل عمران، الآية 104.

(3) رواه مسلم باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان.

الثالث: عدم تنزيل النصوص المتعلّقة بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر على النّصوص العامّة الواردة في هذا الشأن، دون ربطها بمقاصدها الأخلاقية.

الرابع: عدم الالتفات إلى قصد الشّارع من ذكر ترتيب تغيير المنكر على هذا الشّكل[1].

والحقيقة -التي يغفلها هؤلاء أنّ العلماء نصّوا على أن النبي ﷺ بدأ في البيان بالأخير في الفعل، وهو تغيير المنكر باليد، وإنمّا يبدأ باللّسان والبيان، فإن لم يكن فباليد، يعني أن تحول بين المنكر وبين متعاطيه بنزعه وبجذبه منه، فإن لم يقدر إلا بمقاتلة وسلاح فليتركه، وذلك إنمّا هو إلى السّلطان، لأنّ شهر السّلاح بين النّاس قد يكون مخرجا إلى الفتنة، وآيلا إلى فساد أكثر من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[2].

ذلك أنّ تدبير الشأن الأخلاقي داخل المجتمع جزء من مسؤولية العلماء، إلا أنّ هذا التدبير يحتاج إلى أن يكون العالم متحلّيا بأخلاق العلم والرّحمة والرّأفة والرّفق واللّين، وهي أخلاق إذا صاحبها التّوجيه والإرشاد كان لها تأثير، بخلاف أخلاق الفظاظة والعنف والقسوة، فقد تكون نتائجها عكسية على المجتمع ووحدته. ولم يعد صاحبها من أهل العلم الربانيين، وفي هذا الصدد قال الزبيري قلت لمالك: إن من النّاس من آمرهم فيطيعونني، ومنهم من إذا أمرتهم أتأذّى منهم، الشّعراء يهجونني، والمسلّطون يضربونني ويحبسونني فيكف أصنع ؟

(1) سؤال الأخلاق، طه عبدالرحمن، ص 180.

(2) أحكام القرآن لابن العربي، ج1، ص 382.

قال: إن خفت وظننت أنّهم لا يطيعونك، فدع وأنكر بقلبك، ولك في ذلك سعة، ومن لم تخش منه فأمره وانهه، وخاصّة إذا أردت به وجه الله تبارك وتعالى، فإنّك إذا كنت كذلك، لم ترمن الله إلا خيرا، وبخاصّة إذا كان فيك شيء من لين، ألا ترى قول الله تعالى لموسى وهارون: ﴿فقولا له قولا لينا﴾ [سورة طه الآية 44] فإذا قسوت في أمرك لم يقبل منك، وتعرّضت لما تكره، وخرجت من جملة أهل القرآن والعلم [3].

ومن ثمّ لم يجز الإمام مالك لأحد أن يكفّر أحدا بذنب، فأهل القبلة كلّهم مسلمون.

قال القروي: سمعت ابن أبي حنيفة يقول لمالك: إنّ لنا رأيا نعرضه عليك، فإنْ رأيته حسنا مضينا عليه، وإن رأيته سيئا نكبنا عنه، قال: لا نكفّر أحدا بذنب، المذنبون كلهم مسلمون.

قال: ما أرى بهذا بأسا[4].

وقد كان أبو محمد عبدالله بن فروخ الفارسي فقيه القيروان في وقته يرى الخروج على أئمة الجور، فلما خرج إلى مصر وشيّعه الناس التفت إلى من شيّعه، فقال: اشهدوا أنّي رجعت عما كنت أقول به من الخروج على أئمة الجور، وتائب إلى الله منه [5].

---

(3) ترتيب المدارك، للقاضي عياض، ج3، ص63.

(4) المصدر نفسه، ج 2، ص39.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص103.

2. تجريد المفاهيم الدّينية من أبعادها ومدلولاتها الرّوحية:

والانتقال بها من حدود التّخلّق، والتّقرّب إلى الحقّ إلى حدود التّسلّط على الخلق، مما تسبّب في تفسير مشوّه للنّصوص الدينية.

فمصطلح الجهاد تمّ تحريف مفهومه ومعناه، وأصبح يحمل على معنى القتال، أي بلغتنا المعاصرة بسط النفوذ السياسي عن طريق التسلّط العسكري.

والنّاظر في هذا المعنى الذي أصبح يدلّ عليه معنى الجهاد في خطاب التّطرّف يلحظ أن هذا المصطلح صُرف عن المعنى المقصود منه بوجوه نذكر منها:

أولا: أنّه أفرغ من مدلوله الروحي الجامع، والمتعلق بمجاهدة النّفس وحملها على ماتكره.

الثاني: أنّه أصبح يدلّ على معنى القتال من أجل القهر والإكراه الديني، وبسط النفوذ العقدي، وهذا المدلول متعلق بطلب الرّئاسة الدنيوية، وهو مناقض لمقاصد المنهج التّزكوي في الإسلام، ويحمل في طياته تشدّدا عقديّا، وهو مناقض لوسائل وآليات المنهج التّزكوي كما دعا إليه الإسلام.

الثالث: عدم إدراكه لمراتب الجهاد التي يجمعها (لفظ بناء الإنسان) وأنواعه كما وردت في سياق الآيات القرآنية.

الرابع: اقتحام مجالات مؤسسة الإمامة العظمى ووظائفها، إذ الجهاد بالانتظام في البنيان المرصوص، والجهاد بالحراك إلى الميدان المنصوص، و الجهاد بالقيام بالقتال المخصوص، لاتكون إلا بإذن

وإشراف منها، فهي المؤسسة المجمع على امتلاكها الصلاحية الحصرية في إعلان الحرب.ولاحقّ لفرد، ولالمؤسّسة سواها أن يفعل ذلك.[1]

(1) في تفكيك مفهوم الجهاد، أحمد عبادي، ص47. وسؤال الأخلاق، طه عبدالرحمن ، ص 212 .

خاتمة:

وخلاصة القول في خطاب التّطرّف الدّيني أنّه خطاب تجزيئي، عاجز عن إدراك النّسق المتكامل للدّين، ويتجلىّ هذا العجز في عدم القدرة على صياغة منهج شمولي وتكاملي يستوعب الأنساق التي يتأسّس عليها الخطاب الشّرعي، فلم يدرك من النّص سوابقه ولاقرائنه ولالواحقه، ولم يُحط بمراتب الخطاب الدنيا والعليا، وغاب عنه استحضار السّياق و متغيّرات الزّمان والمكان، فاختلط عنده الثّابث والمتحوّل، وصُدّ عن استبصارالتّطور الأفقي والعمودي بأبعاده الثلاث: الخطاب والإنسان والسياق. وقُطع عن الاستمداد والإمداد من نور الشرع.

وإذا كان لكلّ خطاب قوانين تحكمه، وأنساق تضبط علاقاته، ومسارات توجّه منحنياته صعودا وهبوطا، وجغرافية ترسم معالم خريطته وتضاريسه، تحدّد بداية منطلقاته، ونهاية غاياته، ومدار وجهته، وقبلته، وخطّة عمل يسترشد بها لاستبصار وجهته، وميزان يعدل به بين رشده وغيّه، فإنّ آكد ما ينبغي أن يستوعبه الباحث المعاصر أنّ خطاب التطرف تكتنفه حجب أوهام وخرص وظنون، كانت نتيجته ا نحراف عقدي وفكري مشين، وأعطاب قاتلة، توقّفت معها آليات التلّقي السليم، وشوشت معها رؤية كثير من النّاس بضباب من الجهل -بالخطاب الديني- كثيف. ووصل معها الإنسان إلى حالة من «الشرود المعنوي»، فتقلب بين جزر تيه، وتلقّفته أيدي لصوص المنحرفين، وصعاليك المتأوّلين، وقطاع طرق منتحلين، فسميت الأشياء بغير مسمّياتها، وصدّ بجدران الانقطاع عن رؤية وتبيّن الآفاق

الرّحبة التي تمنحه الانطلاق إلى الوجهة المعلومة، والقبلة المحتومة، وكيف يدركها والمداخل إليها عنده مجهولة؟

قد سجنته مقولات سخيفة، أصيب معها بانسداد وانحباس وانكماش، فأخلد إلى الجمود والركود، وانقطعت صلته بالكتاب الخاتم. فتعطّلت منافذ استقبال الخطاب: وانعدمت قنوات الحواروالتواصل.

فما أحوجنا إلى تجديد الخطاب الدّيني مدارسة وممارسة، تشغيلا وتفعيلا، لتجاوز أعطاب التطرف، وذلك بوضوح الرؤية في منظوماتنا التربوية، وتفعيل القيم البانية في منجزاتنا العلمية والفكرية والرّقمية، والانخراط في الأوراش الهادفة إلى بناء الإنسان أفرادا ومؤسسات.

المحتويات

تمهيد 05

المبحث الأول: التطرف مداخل منهجية وموضوعية 07

أولا: التحريف والغلو 08

ثانيا: الانتحال المبطل 09

ثالثا: التأويل والجهل 09

المبحث الثاني: الانتحال مظاهره وتجلياته 11

1 - اغتصاب مفهوم القدوة، والأسوة 11

الآفات المترتبة عن اغتصاب مفهوم القدوة 12

أ. آفة تعظيم الذات 12

ب. آفة تنقيص الغير 12

2 - اغتصاب مفهوم الرجوع إلى الأصول أو الإحياء الديني 14

الآفات المترتبة عن اغتصاب مفهوم الرجوع إلى الأصول أو الإحياء الديني 14

أ. آفة التضييق 15

ب. آفة التسييس 15

المبحث الثالث: التأويل الفاسد 16

1 - تغليب النظر التجزيء في الخطاب الديني على النظر الكلي التكاملي 16

2 - عدم مراعاة السياق بمختلف تجلياته، واعتباراته المتعددة 17
3 - الآفات المترتبة عن إغفال السياق في خطاب التطرف 17
أ. إغفاله لحقائق التاريخ 17
ب. إغفاله للمكونات الذاتية والمجالية 17
ج- إعمال النصية الحرفية وإهمال المقاصد الشرعية 18

المبحث الرابع: التحريف ومظاهره 19
1 - تضييق معاني المفاهيم القرآنية 19
2 - تجريد المفاهيم الدينية من أبعادها ومدلولاتها الروحية 22
خاتمة 24